

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ ﴿٧﴾ وَأَبْقَى ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٩﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٠﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (٥) أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمر الله، وامتنالاً لشرع الله ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٦) أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدونها على ما فيه نفعكم، وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا، وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له» ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٩) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٠﴾ روى أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٩) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٠﴾ قال النبي ﷺ: «كان كل هذا، أو كان هذا في صحف إبراهيم وموسى».

تفسير سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

عن النعمان بن بشير: كان النبي ﷺ يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) الغاشية من أسماء يوم القيامة. روى ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني» وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) أي ذليلة، تخشع ولا ينفعها عملها.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) فَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِثَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) أي قد عملت عملاً كثيراً، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة ناراً حامية ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِثَةٍ﴾ (٤) أي قد انتهى حرها وغليانها ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ﴾ (٦) هو شجر من نار، أو هو

الزقوم، أو هو الحجارة، أو هو الشبرق، وتسميه قرش في الربيع الشبرق، وفي الصيف الضريع، وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، وهو سم ﴿لَا يَسِينُ وَلَا يَغْنَىٰ مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) يعني لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ﴾ (٨) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ﴾ (٩) ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ ۖ﴾ (١٠) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ﴾ (١١) ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ﴾ (١٢) ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ﴾ (١٣) ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ﴾ (١٤) ﴿وَزَوَاجٌ مِّبْثُوثَةٌ ۖ﴾ (١٥)

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بحال السعداء فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها، وقال سفيان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) قد رضية عملها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) أي ربيعة هبة في الغرفات آمنون ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ﴾ (١١) أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مریم: 62] وقال تعالى: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيرُ﴾ [الطور: 23] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (٢٦) [الواقعة: 25، 26] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) أي سارحة، وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة، وإنما هذا جنس، يعني فيها عيون جاريات ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) أي عالية ناعمة، كثيرة الفرش، مرتفعة السمك، عليها الحور العين، قالوا: فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر تواضعت له ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥) النمارق: الوسائد ﴿وَزَوَاجٌ مِّبْثُوثَةٌ﴾ (١٦) الزرابي: البسط. مبثوثة: أي ههنا، وههنا لمن أراد الجلوس عليها. روى أبو بكر بن أبي داود عن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر إلى الجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة خضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية هبة؟ قالوا: نعم، يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: قولوا: «إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله. ورواه ابن ماجه.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ﴾ (١٧) ﴿وَالِ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ﴾ (١٨) ﴿وَالِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ﴾ (١٩) ﴿وَالِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ (٢٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ﴾ (٢١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۖ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۖ﴾ (٢٣) ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٦) يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧)؟ فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة، والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتوكل، وتنفع بوبرها، ويشرب لبنها. ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر ﴿وَالِ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالِ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨)، أي كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع

العظيم كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (ق: 6) ﴿وَالْإِلَاحَاتِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (ق: 16) أي جعلت منصوبة، فإنها ثابتة راسية لثلاث أمد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن. ﴿وَالْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (ق: 20) أي كيف بسطت ومدت ومهدت ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (ق: 21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿ق: 22﴾ أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فَأَنذِرْكَ الْكَافِرِينَ وَكَانُوا كَالِالْطَّبَخِ﴾ (الرعد: 40) وقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (ق: 22) كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (ق: 45) أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (ق: 23) أي تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (ق: 24) روى الإمام أحمد أن أبا أمامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله» تفرد بإخراجه الإمام أحمد. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (ق: 25) أي مرجعهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (ق: 26) أي نحن نحاسبهم على أعمالهم، ونجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

تفسير سُورَةُ الْفَجْرِ

روى النسائي عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد، ثم انصرف فبلغ ذلك معاذاً، فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت أصلي معه فطول علي، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلق ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والفجر، والليل إذا يغشى».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبَاصٍ (١٤)

أما الفجر فمعروف، وهو الصبح، قيل: هو فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده، وقيل: المراد به جميع النهار والليالي العشر: هي عشر ذي الحجة، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا